ولآمرنهم

الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لك الحمد ملئ السماوات، وملئ الأرض وملئ ما شئت من شيء من بعد:

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين من ربه، فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد وقف أمام الله عز وجل مقسماً بعزة الله تبارك وتعالى متحديا للبشرية جمعاء، أنه سيغوي بين آدم جمعاء، أتدرون من هو؟ هل عرفتموه؟ إنه إبليس، إنه الشيطان الرجيم الذي اغتاظ غيظاً شديداً من خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام، وللحفاوة التي حباه الله تبارك وتعالى بها، فأسجد له ملائكته، وفضله على سائر المخلوقات، ولما أمر الله عز وجل إبليس أن يسجد لآدم، أبى، وتكبر، على أن يمتثل لأمر الله عز وجل، فما كان منه إلا أن توعد آدم عليه السلام بالإغواء، والإضلال، وتوعد ذريته من بعده بأنه سيخرجهم من عبودية الله تبارك وتعالى إلى كل طرق الغواية والضلال، قال الله عز وجل حاكياً تلك الواقعة: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} [**النساء**: 116-121].

هذا الشيطان عدو الإنسان، وكِّل به، وسلط عليه، ليبعده من دائرة التقوى، والطاعة، والوحدانية لله تبارك وتعالى إلى دائرة المعاصي، والإشراك بالله عز وجل، ولو وقفنا مع هذه الآيات قليلاً وقفة مقارنة، وتنزيل على الواقع الذي نعيشه اليوم لوجدنا العجب، لوجدنا أن إبليس استطاع بشكل كبير أن يحقق هذا التوعد بالمؤمنين.

التوعد الأول:

{**لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**} **عـدداً كبـيراً منهم يعبـدونني ولا يعبدونك، وهم معروفون بمعصيتهم إياك، وطاعتهم لي**.

التوعد الثاني:

أغـويهم عن طريـق الحـق، والهـدى، ولهـذا ورد في {وَلَأُضِـلَّنَّهُمْ} بعض الآيـات أن إبليس أقسـم على أنـه يغـوي بـني آدم، عـبر عـدة أساليب: {**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**}[**الحجر**: 39]**،** {**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْـتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْـدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَـرَهُمْ شَـاكِرِينَ**}[**الأعـراف**: 16-17]**، وغيرهـا من الآيات التي تبين أن إبليس لن يترك أحـداً من النـاس إلا ويـأتي لإضلاله، وإغوائه، لذا فإن الله عاقب إبليس، وجميع من يتبعـه بـأن يجعلهم كلهم في النـار، كمـا قـال تعـالى**: {**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِـدُهُمْ أَجْمَعِينَ**}[**الحجر**: 43] **الآية وقال في سورة الأعراف**: {**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَـــذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَــــكَ مِنْهُمْ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ**}[**الأعراف**: 18]**، ولهذا ضل الناس، واتبعـوا الشـيطان، وكـان أن بـدؤا قبـل الإسـلام** "**في جـاهليتهم يزعمـون أن الملائكـة بنـات اللـه، ثم يتخـذون لهـذه الملائكـة تماثيـل يسـمونها أسـماء الإنـاث**: **اللات، والعزى، ومناة، وأمثالها، ثم يعبدون هذه الأصـنام بوصـفها تماثيـل لبنات الله يتقربون بها إلى الله زلفى،كان هذا على الأقل في مبدأ الأمـر، ثم ينسـون أصـل الأسـطورة، ويعبـدون الأصـنام ذاتهـا، بـل يعبدون جنس الحجر.**"[1]

التوعد الثالث:

{**وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ**} **الأمـاني الباطلـة من طـول الأعمـار، وبلـوغ الآمـال، وانتظام الأحوال، فلا يكاد يقدم على التوبة والإقبال على تهيئة زاد الآخرة حتى يصير قلبه كالحجـارة أو أشـد قسـوة، ومـا أكـثر هـؤلاء اليوم، اليوم لا يكاد أحد يتذكر الموت، القبر، والآخـرة، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**.

التوعد الرابع:

المراد بتبتيـك آذان الأنعـام شـق"{وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} أذن البحيرة مثلاً، وقطعها ليكون ذلك سمة وعلامة لكونها بحيرة أو سائبة، كما قاله قتادة والسدي وغيرهما، وقد أبطلـه تعـالى بقوله: {**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَـامٍ**}[**المائـدة**: 103] **والمراد ببحرها شق أذنها.**"[2]

التوعد الخامس:

{**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**}**، وما أكثر التغيير لخلق الله في هـذه**

الأيام، والـتي تحمـل شـعارات براقـة، وعنـاوين جذابـة، وعـبر عـدة مجالات.

أيها المسلمون:

{**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**} **من تغيير خلـق مـا يدعيـه البعض من الحريات الشخصية، والتي هي في الحقيقة مخالفات شـرعية، نهى الشـــارع عن اقترافهــــا، وهي كثـــيرة، ومنتشـــرة في أوســـاط المجتمعات المسلمة ومنها**:

حلق اللحية:

من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كـان يعفي لحيتـه، بـل قـد وردت أحـاديثُ نبويـة شـريفةٍ تـدل على أنـه عليـه الصـلاة والسـلام كـان يعفيهـا، وأخـرى تُـرغِّب في الإبقـاء على اللحيـة، والعناية بنظافتها، وعدم حلْقها، ولو رجعنا وتصفحنا التاريخ لوجدنا أن إعفاء اللحْية عند العرب وغيرهم كانت عادة مُستحسنة، ولا يزال كذلك عند كثير من الأمم في علمائها وفلاسفتها، مع مـا بينهم من اختلافٍ في الـدين والجنسـية والإقليم يـرون فيهـا مظهـرًا لجمـال الهيئة، وكمـال الوقـار والاحـترام، وجـاء الـدين وثبت هـذه العـادة، ورسخها في نفوس المسلمين بنصوص نبوية شـريفة تـدل على أن إعفاء اللحية واجب، فمن تلك الأحاديث:

حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: ((**عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ**: **قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ**))...**الحديث**[3]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضـي اللـه عنهمـا عَنْ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: ((**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**))[4]

وغيرها من النصوص التي تأمر بإعفاء اللحية.

الوشم:

وهو غرز إبرة بها كحل أو غيره في الجسم لتغيير لونه إلى الأزرق، أو الأسود، ونحوه، وهو محرم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الواشمة والمستوشمة، عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَـالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ((**الْوَاشِـمَةَ وَالْمُسْتَوْشِـمَةَ وَآكِـلَ الرِّبَـا وَمُوكِلَهُ وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَكَسْبِ الْبَغِيِّ وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ**))[5]

وعند مسلم من حـديث ابْنِ عُمَـرَ رضـي اللـه عنهمـا أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ((**لَعَنَ الْوَاصِـلَةَ وَالْمُسْتَوْصِـلَةَ وَالْوَاشِـمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ**))[6]

فالواشمة هي التي تفعل الوشم بنفسها، والمستوشـمة هي الـتي

تطلب من غيرها أن يعمل ذلك بها، وكلاهما ملعونة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أمر لا يجوز عمله ولا إقراره، ويجب النهي عنه، والتحذير منه، وبيان أنه كبيرة من كبائر الذنوب، ومن فعل بها هذا إن كان ذلك باختيارها ورغبتها فهي آثمة وعليها أن تتوب إلى الله عز وجل، وأن تزيل هذا الأثر إن كان في مقدورها إزالته، أما إن كان فعل بها هذا بدون علمها وبدون رضاها كمن فعل بها وهي صغيرة لا تدرك فالإثم على من فعله، ولكن إذا أمكن أن تزيله فإنه يجب عليها ذلك، أما إذا لم يمكن فإنها تكون معذورة في هذه الحالة، والحكم مشترك بين الرجال والنساء.

الواصلة:

"الواصلة هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر، والمستوصلة التي تطلب من يفعل بها ذلك"[7]، وفاعله ملعون فعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ))[8]

النامصة، والمتفلجات للحسن:

النامصة: هي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك بها.[9]

والمتفلجات: لأسنانهن، أي اللاتي يبردن ما بين أسنانهن ليجعلن فيها فلجة، وهن أيضاً ملعونات، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله."[10]

هذا بعض ما ظهر في أوساط مجتمعاتنا المسلمة، والذي أصبح الكثير من المسلمين يلهث وراء هذه الأمور المحرمة بنص كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فالحذر أخي المسلم من أن تكون أحد من ذكر آنفا، والحذر أختي المسلمة مما يروجه أصحاب المبادئ الهدامة من الأمور المحرمة، وتحت مسمى الموضة، والجمال، إن جمالك الحقيقي يكمن في تمسكك بكتاب ربك جل جلاله، وسنة رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، فالحذر الحذر.

نسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل، أن يردنا إلى دينه مرداً جميلاً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

---

1 في ظلال القرآن (2/241).
2 أضواء البيان (1/308).
3 رواه مسلم (234).
4 رواه البخاري (5442).

5 (4928) رواه البخاري.
6 (3965) رواه مسلم.
7 (14/ 103) شرح النووي على مسلم.
8 (3965) رواه مسلم.
9 (14/ 106) شرح النووي على مسلم.
10 (3966) رواه مسلم.